حقوق الإنسان والحريات العامة

الفصل الأول: حقوق الإنسان

الجذور التاريخية لحقوق الإنسان وتطورها في بلاد وادي الرافدين:-

المبحث الأول:- حقوق الإنسان في العصور القديمة والوسطية.

لم تكن الإجراءات الدولية الحديثة ولا إجراءات الشعوب حديثة العهد في مجال حقوق الإنسان بل إنها ذات جذور تاريخية ضاربة في عمق الحياة والكون ولا نغالي إذا قلنا إنها أولى بشائر الحضارة وأصل قواعدها في العراق، وليس هذا في مجال الكتب الوضعية بل كذلك ما جاءت به الكتب السماوية وخاتمها القرآن الكريم. إن تلك القوانين والتي يعد العراق مكانها الأول، حيث فجر المدنية والحضارة ومهبط الرسل والأنبياء فقد نرى ذكر حقوق الإنسان في جميع الشرائع العراقية، ويمكن أن نشير إلى مجموعة من هذه القوانين التي تم العثور عليها في بلاد وادي الرافدين، وحسب تسلسلها الزمني وأهمية موادها القانونية والتشريعية والتي أتت الإشارة فيها إلى حقوق الإنسان، وقد توسعنا نوعا ما في قانون حمورابي.

مجموعة القوانين:-

١- إصلاحات أو قانون اوروكاجينا:- والذي تمحور حول فكرة الحرية في بدون القانون وهذه الإصلاحات في طبيعتها لم تقترب من صيغة القانون.

٢- قانون اورنمو:- دون هذا القانون باللغة السومرية والذي يعتبر أول قانون يوضع ولم يسبقه احد في قدمه، والذي حصل فيه الملك اورنمو بتفويض من الإله ناما اله القمر والذي وصف فيه الملك بأنه تقي وعادل والذي منع التعسف والظلم، وتمتع الناس في عهده بحقوقهم وحرياتهم وقضى على الفساد وطبق العدالة بين الرعية وانصف جميع شرائح المجتمع.

٣- قانون لبت عشتار:- دون باللغة السومرية وهو القانون الذي أصدره الملك لبت عشتار (١٩٣٤-١٩٢٤) ق.م. خامس ملوك سلالة ايسن وهو الثاني من حديث القدم، وكان يحتوي على خصال الملك الحميدة، ونشره العدل والقانون وكيف ان الإله اختاره للحكم وفوضه أمر الناس عالج فيه حقوق الإنسان في مختلف مجالات الحياة ومنع الاعتداء والتجاوز على حقوق الآخرين وكذلك موضوع الأحوال الشخصية والعلاقات الإنتاجية المختلفة وموضوع الملكية الشخصية والقضاء على الفساد الإداري الذي كان منتشري في المدينة آنذاك.

٤- قانون اشنونا:- هو قانون مملكة أشنونا ويعتبر ثالث القوانين من حيث التسلسل الزمني واول قانون يدون باللغة الأكدية فقد عالج هذا القانون الأحوال الشخصية والعقوبات والأموال الخاصة وقانون الأسرة والسرقة وكذلك موضوعان في الزراعة والري وأشار القانون إلى العدالة ومنع التجاوزات وأشار إلى علاقات العمل والعمال

٥- قانون حمورابي:- كتب هذا القانون باللغة الأكدية، وهو قانون شبه متكامل في نصوصه ولغة وأسلوب كتابته، إن قانون المشرع الكبير حمورابي والذي يعتبر أول قانون له صفة القانون العملي الذي يوضع على وجه الأرض من قبل مشرع فيعطينا الصور الواضحة والكاملة للأبعاد التاريخية للقانون والتشريع في العراق القديم، ومما يزيد في أهمية قانون حمورابي هو تبويبه بالنسبة للمواد في القانون أي

Scanned by CamScanner

قانون حمورابي، فانه يحاكي تبويب أحدث القوانين والتشريعات من حيث الترابط الموضوعي بين مادة وأخرى أو الانتقال من موضوع إلى آخر حيث يحتوي على (٣٠٠) ثلاثمائة مادة قانونية عثر على (٢٨٢)مادة قانونية ونشر المسلة التي عثر عليها في مدينة سبا في مدينة اليوسفية، صورة تمثل الإله شمش (اله شمس) وهو متربع على عرشه، ويقف أمامه حمورابي وقفة المتعبد يستلم من الإله العصا وحبل القياس، وهما من رموز وشارات السلطة والحكم في العراق القديم.

ملاحظة:-

الصورة الأصلية لمسلة حمورابي نسخة بابل فقدت وغير موجودة والتي فيها صورة الإله مردوخ، وبسبب التلف بقي(٢٨٢) مادة من اصل (٣٠٠) مادة قانونية.

ويمكن أن نوجز بعض المواد التي أشير فيها للأمور المتعلقة ذات العلاقة بموضوعنا:-

١- أشار فيها حمورابي إلى الأحكام العادلة التي أصدرها حمورابي الملك العظيم للبلاد فازدهر فيها العدل والحكم الصالح.

٢- أشار فيها إلى الأجيال اللاحقة والتي ستكفل لهم العدالة والطمأنينة.

٣- سوف تقع اللعنات من الالهه بحق من يعمل على تحريف نصوص القانون أو إزالتها او محو آثارها.

٤- إن هذا القانون يساوي بين جميع الناس ولا فرق بين إنسان وآخر أمام القانون حيث انه الزم الجميع من موظفين كبار أو قضاة أو رجال دين أو كهنة أو رجال عاديين او عبيد أو إماء بالاصطفاف سواسية أمام أحكامه. وساوى الجميع في تنفيذ الأحكام.

٥- تم الفصل بين السلطات في القانون، التشريعية والتنفيذية والقضائية.

٦- منع التعسف في استعمال الحق الفردي وكذلك ضمن العدل.

وهنا نرى إننا نقف أمام شخصية تاريخية كان هاجسها العدل والعدالة وحقوق الإنسان وعدم سلب حريته وإرادته، بل كان حمورابي معينا" لمن يحتاج المعاونة في هذا القانون والذي تم إيجازه بشكل مقتضب ومختصر جدا".

ولابد من الملاحظة وهي أن قانون حمورابي يمثل واحدا" من أقدم الإنجازات الرائعة في تاريخ الحضارة الإنسانية، وانه يسبق قانون الإمبراطور الروماني جستنيان بنحو ألفي عام، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه القوانين لم تكن آخر ونهاية القوانين العراقية التي صدرت وعالجت حقوق الإنسان، لا بل هناك كثير من القوانين والأنظمة التي صدرت في هذا المجال من خلال الإمبراطوريات والممالك العراقية القديمة، وهذه القوانين في طبيعتها عالجت أمور اجتماعية وإنسانية كثيرة مثل الإرث والزواج والطلاق، ومعاملة الآخرين وكذلك العلاقات الإنتاجية المختلفة.

المبحث الثاني:- حقوق الإنسان في الإسلام

الإسلام سبق كل القوانين التي وضعت في العصور الحديثة والتي عالجت موضوع حقوق الإنسان بما يقارب (١٥٠٠) ألف وخمسمائة سنة، حيث عالج الموضوع بشكل تجاوز كل القوانين الوضعية في إعطاء الإنسان حقه وتكريمه حيث أعطى الله سبحانه وتعالى من خلال القرآن الكريم الأساسية والطبيعية للإنسان، في قوله تعالى ((ورحمتي وسعت كل شيء)). وفي العدل والإحسان ومن خلال الانقياد لله وحده، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تفيد هذا المعنى من ذلك قوله تعالى ((ومن أحسن دينا" ممن اسلم وجهه لله وهو محسن)) وقوله تعالى ((قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين)).

والإسلام هو التسليم لله سبحانه وتعالى والمسلم هو من اسلم لله الحاكم الوحيد ولرسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم، قال(ص) واصفا" نفسه ((أنا الرحمه

المهداة)) وقال(ص) ((الراحمون يرحمهم الرحمن)) و((ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)) وكانت الرسالة الإسلامية موجهة إلى جميع الناس، وهي رسالة خصت العالمين جميعا، ولم يفرق الإسلام بين الناس على أساس العرق أو اللون والجنس أو الأصل. وقد قال تعالى ((وما أنا بظلام للعبيد)) ((وما ظلمناهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)) ((ولقد كرمنا بني آدم)). وان الله سبحانه وتعالى قد خلق كل المخلوقات بالأمر الإلهي ((كن)) فان خلق آدم قد تميز عن خلق المخلوقات كلها بأنه باشر الله سبحانه وتعالى خلقه بيده، وذلك طبقا لقوله تعالى في سياق استكبار وعصيان ابليس الأمر الإلهي بالسجود لآدم في قوله تعالى((وما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) وفي قول رسول الله محمد(ص)((الإنسان بناء الله لعن الله من يهدمه)) وجعل الرابطة الإنسانية رابطة إخوة. وهذه نصوص صريحة لا لبس فيها ولا غموض تحدد قيمة الإنسان وإنسانيته سواء جاءت في النص القرآني أو في السنة النبوية. ولنا في إنسانية الإمام علي ابن أبي طالب (كرم الله وجهه) (وعليه السلام)خير دليل على أن الإسلام أعطى الإنسان حقوق لم ترقى إليها أي شريعة أو قانون آخر بغض النظر عن انتماء الإنسان ودينه وشكله واصله، حيث شاهد متوسلا تسئل عنه ما هذا قالوا متسول من أهل الذمة فقال ((ع)) بتعجب هل يجوز أن يكون إنسان فقير ومحتاج في دار الإسلام، أو تسحق إنسانية إنسان مهما كان، فقال عليه السلام خصصوا له راتبا من بيت المال أسوة بفقراء المسلمين. هذه صورة من أمن بالإسلام ونذر نفسه لهذه العقيدة السمحاء. وكذلك قوله عليه السلام ((الله الله في الفقراء والمساكين أشركوهم في معايشكم)) وهذا أمرا آخر يرى الإمام عليه السلام حفظا لكرامة الإنسان وإنسانيته وكذلك حرم الإسلام قتل النفس بدون حق، وجعل لها قدسية خاصة وصانها من الأذى في قوله تعالى ((من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)) كما حرم الانتحار والتعذيب وقتل الجنين في موضوع الإسقاط والإجهاض كما دعا الإسلام إلى المساواة بين الناس ((إنما المؤمنون إخوة)) وكذلك قوله(ص)((يا أيها الناس أن ربكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ولا احمر على ابيض ولا ابيض على احمر فضل إلا بالتقوى)) صدق رسول الله (ص). وحرم الإسلام استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وفي قول الخليفة الثاني عمر الفاروق(رض) ((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)) وقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل لا بل جعل للمرأة منزلة خاصة وذلك في قول رسول الله محمد(ص)((الجنة تحت أقدام الأمهات)) ومن هذا نرى أن التشريع الإسلامي جاء لمصلحة كافة البشر، وان التصرف على الرعية منوط بالمصلحة لان الحاكم عندما يمارس السلطة لتحقيق مصالح الناس ومتطلبات المجتمع، وبالمقابل فان المجتمع والشعب لهم الحق في المراقبة والتعيين عن الرأي وفي المحاسبة ولنا في قول الخليفة الأول أبو بكر الصديق (ض)عند توليه الخلافة بعد وفاة الرسول محمد(ص)حيث قال ((أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيت فلا طاعة لي عليكم)).

وهناك أقوال كثيرة للصحابة تدعو إلى مقاومة الظلم والطغيان وسوء الإدارة والتعسف وهدر الكرامات واستباحه الأرض والعرض من قبل الظالمين وفي ذلك يقول الرسول الكريم محمد(ص)((أفضل الجهاد عند الله كلمة حق في سلطان جائر)) صدق رسول الله.

وفي نفس المنحى والاتجاه يقول الإمام الفقيه جعفر الصادق (ع) حول حديث رسول الله (ص)في تغير المنكر((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان)) يقول عليه السلام في هذا الحديث الشريف أن اضعف الإيمان يرقى منزلة الكفر وعليه أن لا ينجر المسلم والمؤمن في تضعيف ايمانه وينحدر إلى درجة الكفر، بل عليه مقاومة المنكر بكل ما أوتي من قوة، وكلنا يعرف المنكر هو العمل غير الصالح سواء ظلم أو عدوان أو اغتصاب حقوق الآخرين وانتهاك حرمتهم وكرامتهم أو تدنيس الأرض وقتل الأنفس وإبادة وتدمير الحرث والإرث.

Scanned by CamScanner